اتفاقية غزة وأريحا[1]

من مأساة البوسنة إلى مأساة فلسطين

● الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

قُدّر علينا أن نعيش حتى نرى الإسلام يُنَاوشَ بالسهام من كل جانب من الجوانب، وتصب عليه سياط العذاب من كل فئة من الفئات. تفرق الكفر شيعاً وأحزاباً، ولكنهم اجتمعوا على هذا الدين وعلى أهله، فالكفر ملة واحدة، والله تعالى يقول: ﴿... وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فلا عجب أن نرى في هذا العصر، كل فئات الشرك والكفر، تتآمر على المسلمين، تريد أن تقتلع جذورهم، وأن تهدم عليهم بنيانهم، وأن تأخذهم من دينهم وعقيدتهم.

اجتمع على ذلك اليهود والذين أشركوا والصليبيون الجدد، هذا ما نراه على خريطة الحياة في عصرنا.

الصليبية الجديدة في أوروبا نراها في أولئك الصربيين. هؤلاء الوحوش المفترسون، الذين حدّوا أنيابهم ليأكلوا المستضعفين من المسلمين... أهل البوسنة والهرسك.

---

(١) وقعت الاتفاقية في ١٣/٩/١٩٩٣ بواشنطن.

أرادوا أن يقضوا على هؤلاء مرة واحدة، ولكن الله سبحانه وتعالى نفخ الروح في هذا الطين... هذا الفتات... هؤلاء الذين بقوا من حكم الشيوعية نحو نصف قرن.. هؤلاء الذين كانوا تحت وطأة الاستبداد والتسلط الاستبدادي الشيوعي الأحمر، تحت حكم (تيتو)... هؤلاء الذين عزلوا عن الإسلام، فلم يكادوا يعرفوا عنه شيئاً إلا مجرد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) حتى الأسماء لم تعد إسلامية، حتى الختان، لم يكن الكثيرون منهم يختنون أبناءهم الذكور (ألف باء الإسلام) لم يكونوا يعرفونها، عزلوا عن جسم الأمة الإسلامية، وجهلوا بالإسلام، ثم شاء الله أن تنهار الشيوعية في بلادهم الأم.

الشيوعية التي كانت تحلم بأن تغزو العالم، وغزت أفغانستان لتنطلق منها إلى بلاد المسلمين، وتصل هنا إلى الخليج وإلى ما بعد الخليج، شاء الله أن تنهار الشيوعية، وتزول دولتها، ويذهب ريحها.

وكان مما سلطت عليه الشيوعية ما كان يسمى: (يوغسلافيا) وانقسمت يوغسلافيا، انقسم الكروات وأقاموا لهم دولة اسمها: (كراوتيا) ولما أراد المسلمون في (البوسنة والهرسك) أن يكون لهم ما للكروات، وصوّت لذلك، ونالوا أغلبية باسم الديمقراطية التي يتغنى بها الغرب، واعترف الغربيون أنفسهم واعترفت الأمم المتحدة، بالدولة الجديدة، ولكن كيف تقوم دولة فيها رائحة الإسلام، فيها بقايا الإسلام، تحمل عنوان إسلام ما في أوروبا؟! هذا ما جن له جنون الغرب كله.

وتآمر هؤلاء وحملوا الصليب من جديد، ليعلنوها حربا على الإسلام، حرباً على المسلمين، كانوا يظنون أن هؤلاء سيسقطون بعد أُسبوع أو أسبوعين، هذا ما قدر لـ (سراييفو) أنها لن تحتمل أكثر من أسبوعين أو ثلاثة.

ولكن هؤلاء الذين لم يكونوا يعرفون من الإسلام إلا القليل، والأقل من القليل، أيقظتهم الأحداث الهائلة والقوارع النازلة فجأة، ليتعرفوا على الإسلام.

حينما وجدوا الناس يقاتلونهم من أجل الإسلام، يقطّعون رقابهم من أجل

الإسلام، يهدمون عليهم بيوتهم من أجل الإسلام، يغتصبون أمهاتهم وزوجاتهم وبناتهم من أجل أنهن مسلمات، يخربون عليهم مساجدهم، يدمرون عليهم مدارسهم، يحرقون مزارعهم وحقولهم، لا لذنب إلا لأنهم مسلمون.

لهذا بحثوا عن هذا الإسلام الذي لا يعرفه، وأرادوا أن يتشبثوا به وبدأوا يحفّظون أبناءهم سوراً من القرآن، يحفظونهم سورة (الفاتحة) وسورة (الإخلاص) وسورة (العصر) بعد أن كانوا لا يحفظون إلا نشيد:

أيـــهـــا الـــرفـــيـــق تـــيـــتـــو لا نـــحـــلـــف إلا بـــاســـمـــك

أصبحت أناشيدهم الجديدة: سور القرآن، وقصار السور من كتاب الله. هؤلاء استطاعوا أن يصمدوا! وما الذي جعلهم يصمدون ويستمرون ويقاتلون هذه القوة العاتية.. الجيش الصربي الذي يعتبر رابع الجيوش في أوروبا، وهم لا يملكون شيئاً يذكر من الأسلحة؟!

وحرّمت هيئة الأمم المتحدة وحرّم مجلس الأمن الدولي عليهم وصول السلاح. حظر بيع السلاح، حتى لا يستمر القتال، ولا يكثر سفك الدماء! يعني هذا أنهم أرادوا أن يكون القتل من جانب واحد فحسب! أي أرادوا أن يقتل المسلمون بسرعة، وتنتهي القضية.

كيف يُمكّن طرف واحد من كل الأسلحة، والطرف الآخر يحظر عليه أدنى سلاح؟

ولكن هؤلاء المسلمين الجدد، بما نفخ فيهم من روح الإيمان الجديد، استطاعوا أن يصنعوا ذخائر للأسلحة بأيديهم، واستطاعوا أن يعيشوا رغم الحصار المضروب عليهم.. يعيشوا بأقل القليل، ويزرعوا الخضروات في البيوت التي يعيشون فيها حتى يأكلوا، ويأكلون القليل، ويكفيهم القليل، ويأثر بعضهم على بعض ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

هؤلاء ما الذي جعلهم يصمدون، ويثبتون، ويقفون كالطود الشامخ ستة عشر شهراً؟ إنه الإسلام الجديد، إنه الإيمان الذي خالطت بشاشته قلوبهم،

وسرى فيهم مسرى الماء في العود، أنشأهم شيئاً آخر.

ولذلك يقول الكثير منهم ممن لقيناهم: إن هذه نعمة من الله علينا، هذه المحنة في طيها منحة، قد كان يمكن أن نعيش، ولكنا سنعيش غير مسلمين، اليوم يموت منا من يموت ولكن من يحيا منا سيكون مسلماً، ليس المهم أن نعيش ولو بغير دين، إنما المهم أن نعيش مؤمنين.

هذا منطق هؤلاء أيها الإخوة.

ومن هنا نقول: إنه رغم قساوة الظروف المحيطة بإخواننا، ورغم غلظ المحنة التي يمرون بها، فإن من وراء هذه المحنة منحاً، ورب ضارة نافعة، ومن الشر ما يأتي بالخير، والخير قادم إن شاء الله لقد أرادوا أن يقتلعوا الإسلام من شرق أوروبا، وألا تقوم للإسلام قائمة، ولا يبقوا فيه من باقية، ولكنهم باؤوا بالإخفاق.

وبقي الإسلام، وسيظل الإسلام، وسيخرج من ضئضيء هؤلاء من يرفع راية (لا إله إل الله محمد رسول الله).

هذا ما صنعته الصليبية الجديدة... الصليبية الغربية، في عصر يتنادى الناس فيه بحقوق الإنسان.. بميثاق الأمم المتحدة.. بحق الشعوب في تقرير المصير، وكأنهم يقولون: إن الشعوب كلها لها حقها في تقرير المصير، إلا الشعوب الإسلامية.. إلا أن يكون الشعب مسلماً.

ولكن هؤلاء ليسوا هم الذين يملكون هذا الكون، الذي يملك هذا الكون ربه عز وجل، إن الذي هدم الاتحاد السوفيتي يمكن أن يهدم هؤلاء، والله لن يبقى الظلم يتحكم في العباد، ويذل الرقاب، إن دولة الباطل ساعة. ودولة الحق إلى قيام الساعة ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. صدق الله العظيم.

هذا ما صنعته الصليبية في أوروبا.

ونجد على الجانب الآخر في الشرق: الوثنية المتعصبة.. الهندوسية التي تذبح المسلمين بغير حساب، وتهدم مساجدهم، وتهدم وجودهم، هذا ما نسمعه ونقرأه ونراه، حتى أن أحد علماء المسلمين الكبار قال: كانت تعد لنا مجزرة هائلة. والمسلمون في الهند ليسوا شيئاً قليلاً، إنهم ما يقرب من مائتي مليون، يحاولون أن يقللوا العدد فيقولوا: المسلمون في الهند مائة وخمسون مليوناً إنما هم حوالي مائتي مليون أو يزيدون، أي: ما يقارب العالم العربي كله ـ قال لي هذا العالم: ولكن الأحداث التي حدثت في (بومبي) جعلت هؤلاء يعيدون حساباتهم من جديد.

لا بد من الوقوف في وجه الباطل، لا بد من الصمود أمام الطغيان الظالم، لا يجوز للمسلم أن يستسلم ويلقي السلاح مهما تكن قوة أعدائه.

وثالثة الأثافي أيها الإخوة: هو ما يجري في قضية القضايا، في قضية المسلمين الأولى.. قضية فلسطين.. أرض النبوات.. أرض المسجد الأقصى.. أرض أولى القبلتين.. مسرى رسول الله ﷺ.

ها نحن نرى اليوم فصلاً جديداً من فصول هذه الرواية. لقد عايشنا قضية فلسطين منذ وعينا على هذه الدنيا، منذ بدأنا نعي أن هناك عالماً إسلامياً، وأن هناك مآسٍ وقضايا له، فكانت قضية فلسطين هي القضية الأولى التي تشغلنا، تشغل الفكر، وتشغل القلب، وتشغل اللسان، في كل سنة.. في ذكرى ما سمي وعد (بلفور).. في (٢ نوفمبر) بلفور وزير الخارجية البريطاني الذي وعد اليهود أيام الحرب العالمية الأولى بوطن قومي لهم، وقد علق على ذلك من قال: من لا يملك وعد من لا يستحق! وعلق عليه مفتي فلسطين ليست وطناً بغير شعب، حتى تستقبل شعباً بغير وطن!.

ولكن جرت الأحداث، وصنعت بريطانيا ما صنعت خلال الأعوام الثلاثين التي حكمت فيها فلسطين، وهيأت لأبناء (الصهيون) الفرصة ليستوطنوا

ويهاجروا من أوروبا الشرقية وغيرها هجرات جماعية وفردية، وقامت العصابات الصهيونية بأعمالها الإرهابية، إلى أن حدث ما حدث في سنة (١٩٤٨م).

قبل ذلك كان هناك قرار التقسيم الذي رفضه الفلسطينيون، ورفضه العرب بالإجماع، كيف يقسم بلد بين أهله وبين الغرباء عنه؟! لا يستطيع الإنسان أن يقسّم داره بينه وبين لص جاء واقتحم عليه داره، هل يستطيع الإنسان أن يقسم زوجته بينه وبين عادٍ عليه، يريد أن يهتك عرضه، وينتهك حرمته؟!

كان التقسيم مرفوضاً، ومع هذا حدث ما هو شر من التقسيم، وقامت دولة (إسرائيل)، واعترفت بها أمريكا، ثم اعترفت بها روسيا، وقال الجميع: إن إسرائيل خلقت لتبقى.

ودخلت الجيوش العربية السبعة إلى فلسطين، وبالخيانات والتآمر والأسلحة الفاسدة التي كانت تقاتل بها بعض الجيوش، انهزمت الجيوش السبعة أمام العصابات.

كنا نقول عن إسرائيل، وكانت أجهزة إعلامنا المقروءة والمسموعة ـ لم تكن هناك أجهزة مرئية في ذلك الوقت ـ الصحافة ومثلها الإذاعة كانت إذا ذكرت إسرائيل تقول: إسرائيل (المزعومة) بين قوسين (المزعومة) وظللنا سنوات نقول عن إسرائيل: (المزعومة).

ثم خجلنا من أنفسنا حينما كانت هذه المزعومة تركل هذه الجبهة وتصفع هذه الجبهة وتعتدي هنا وهناك، ولا يملك العرب المعتدي عليهم إلا أن يشجبوا وينكروا هذا العدوان، ويحتجوا لدى مجلس الأمن وهيئة الأمم، وهناك آلاف الاحتجاجات والاستنكارات.

بعد هذا خجلنا من أنفسنا أن نقول عن إسرائيل: (المزعومة) بعد أن أوشكنا أن نكون نحن: المزعومين!

بعد هذا خجلنا من أنفسنا أن نقول عن إسرائيل: (المزعومة) بعد أن

أوشكنا أن نكون نحن: المزعومين!

وظل هذا الوهم إلى أن هيأ الله الفرصة لجهاد فلسطيني يقوم على أكتاف أبناء فلسطين أنفسهم؛ وقامت (فتح) وقامت فصائل مختلفة، تجاهد وتنادي: ثورة حتى النصر. إلى أن قامت حركة المقاومة الإسلامية.. الجهاد باسم الإسلام.. ثورة المساجد، الثورة التي انطلقت من بيوت الله، وكانت صيحاتها من فوق المآذن.. من ميكروفونات المآذن: حي على الجهاد.. حي على الجهاد، راياتها: المصاحف.. القرآن الكريم مرفوعاً، شعاراتها: لا إله إلا الله.. والله أكبر، أناشيد أبنائها وأشبالها:

خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود

هذه الثورة المسجدية الإيمانية قلبت الموازين وجعلت هؤلاء يحسبون ألف حساب لهذه الروح الجديدة، فما كانوا يخافون كثيراً أن يكون الجهاد باسم (الوطنية) أو تحت شعار (القومية) إنما الذي كان يخيف يهود وأبناء صهيون: أن ينطلق الجهاد باسم الله.. باسم الإسلام.

كانوا يريدون أن يكون جهادهم أو نضالهم أو قتالهم هو تحت اسم الدين.. تحت اسم التوراة.. التلمود، أما المسلمون فما كانوا يحبون أن ينطلق لهم جهاد تحت راية الإسلام، ولكن هذا الذي حدث.

ومن هنا كان الضغط المستمر على المقاومة الإسلامية، وكان تكسير العظام، وكان القتل، وكان التشريد والإبعاد، وكان السجن والاعتقال، وكان هدم البيوت.. إلى آخره، ولكن لم يفت ذلك في عضد هؤلاء المجاهدين الجدد. إنه الإسلام.. الإسلام أنشأهم خلقاً جديداً، يرون أن الموت في سبيل الله هو عين الحياة.

ما أخشى ما يخشاه الناس؟ الناس يخشون على أمرين: يخشون على الرزق، ويخشون على العمر. والرزق بيد الله، والعمر بيد الله لا يستطيع أحد أن ينقص من رزقك لقمة أو درهماً، ولا يستطيع أحد أن يؤخر أجلك يوماً أو ساعة أو

لحظة من زمن، الأرزاق والآجال بيد الله.

ولهذا لم يخف هؤلاء من الموت، لم يبالوا أوقعوا على الموت، أم وقع الموت عليهم، فإما أن نعيش سعداء، وإما أن نموت شهداء. إنما هي إحدى الحسنيين ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]. هذه الروح الجديدة وهذا الجهاد الجديد، هو الذي جعل أبناء صهيون يفكرون تفكيراً جديداً.

دعوكم من كل ما يكتب ويقال أحياناً. تذكر وكالات الأنباء وتقريرات الصحف الأجنبية والعالمية ما وراء السطور، قالت (رويتر): إن الذي جعل الإسرائيليين يعجلون بالاتفاق الجديد، هو خوفهم من تنامي الأصولية الإسلامية.

إن هذه الأصولية يصلب عودها يوماً بعد يوم، قامت ثورة إسلامية في إيران، ووصل حكم إسلامي إلى السودان، وفاز إسلاميون في الأردن، وفي اليمن، وأوشك الإسلاميون في الجزائر أن يصفوا إلى الحكم بطريق ديمقراطي و.. و.. إلى آخره، وهذا هو الخطر.

العالم كله الآن يتنادى بالتحذير ـ أقصد العالم الغربي اليهودي والصليبي ـ يتنادى بالتحذير مما سموه: الخطر الأخضر، يقصدون الخطر الإسلامي.

زال الخطر الأحمر الذي كان يتمثل في الشيوعية العالمية بقيادة الاتحاد السوفيتي، والخطر الأصفر الصيني لم يعد يخوفهم، الخطر الجدير هو: الخطر الإسلامي.

هل الإسلام خطر والمسلمون بهذا الضعف؟! والمسلمون في مؤخرة الأمم؟! وفي ذيل القافلة؟! كان يعتبر هذا خطراً تحشد القوى للتخويف منه، وتضخيم مساطره، وغرس هذه المعاني في العقول والنفوس؟!

صحيح أن الإسلام ضعيف الآن، ولكنهم يقولون: لقد عرفنا من طبيعة الإسلام أنه يكون ضعيفاً ثم سرعان ما يقوى، متفرقاً ثم سرعان ما يتجمع، نائماً ثم سرعان ما يستيقظ، إذا وجد من يقود الأمة باسم الله، ومن يخطابها بكلمة الله، فسرعان ما يظهر هذا العملاق، ويخرج من قمقمه، ويتحدى الدنيا، كما فعل ذلك أيام صلاح الدين، وأيام قطز، وأيام محمد الفاتح وغيرهم من الأبطال.

إنهم يخشون أن يعود صلاح الدين من جديد، هذا ما يخشاه هؤلاء، ولذلك سارعوا لمثل هذا الاتفاق، الذي لا يعطي للشعب الفلسطيني ما كان يتنادى به من سنين طويلة: من حق تقرير مصيره، وإقامة دولته الوطنية المستقلة على كامل ترابه، وإعادة اللاجئين المشردين إلى أهليهم وديارهم وأوطانهم التي أخرجوا منها بغير حق، وأن تكون عاصمة هذه الدولة المستقلة: القدس الشريف، هذا ما كانوا يتنادون به.

ولكن ـ للأسف ـ لم نجد هذا في الاتفاق الجديد، فمما قاله الذين مثلوا الجانب الفلسطيني: إننا نأمل أن تحل المشكلات الصعبة في المرحلة القادمة.. مشكلات القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود فإذا كانت هذه المشكلات معلقة، فما الذي حُل من مشكلات إذن؟!

إن (رابين) عشية ذهابه إلى (واشنطن) لحضور حفل التوقيع، صرح لوكالات الأنباء: أن القدس ستظل العاصمة الموحدة الدائمة لإسرائيل، وأن علم فلسطين لن يخفق فوقها يوماً من الأيام.

أراد بذلك أن يبلغ رسالة إلى الجانب الفلسطيني: أن هذه القضية أحد الثوابت التي لا تقبل التغيير أو التعديل أو التنازل.

وفي كلمته في حفل التوقيع قال: نحن قادمون من (أورشليم) أو من (القدس) العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودي.

هل يمكن أن نقبل تنازلاً عن القدس؟ عن المسجد الأقصى؟ عن أولى

القبلتين وثالث المسجدين العظيمين؟ هل يمكن أن يصبح هذا أمراً هامشياً يترك إلى نهاية المفاوضات، بعد أن يكون كل شيء قد تم؟ وتم الاعتراف، وتم التطبيع، وتم الاختراق، وتم، وتم؟ ماذا يملك الذين يمثلون فلسطين عند ذلك؟ هل يرجعون في كل ما تم إذا تصلب الجانب الإسرائيلي، وهو متصلب من اليوم.

كيف نفرط في القدس؟ كيف نسكت عن اللاجئين.. الملايين الأربعة المشردين؟

ذكر (رابين) في كلمته: يهود الشتات.. اليهود المشتتين، وهؤلاء اليهود المشتتون كما يسميهم يهود عاشوا في أقطارهم قروناً من الزمن، ولدوا فيها، ونشأوا هم وآباؤهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم، ومع هذا يسميهم: يهود الشتات، وسكتنا نحن عن فلسطيني الشتات، وكثير منهم ولد في فلسطين، عاش فيها ونشأ فيها وشهد بنفسه مجازر (دير ياسين) وغيرها، كيف نسكت عن هذا، ولا نقول كلمة واحدة عن هؤلاء المشتتين، وما عانوه، وما يعانونه؟! هذه قضية اللاجئين.

قضية الاستيطان: ما زال المستوطنون يصولون ويجولون، هؤلاء الذين جاءوا من خارج فلسطين، أصبحوا يتحكمون في أرض فلسطين، وفي أهل فلسطين، في الضفة الغربية وغيرها.

الاتفاق يعطي القوات الإسرائيلية الحق في التحرك بحرية في الطرق ما بين غزة وأريحا، أين الانسحاب إذن؟! كيف رضينا بالهوان؟! كيف قبلنا هذا الدون؟!

لقد وقفنا ضد اتفاقية (كامب ديفيد)، وقلنا: إنها خيانة، فما هو الذي يجعلنا نقبل ما هو شر منها؟! ولهذا البعض الآن يقولون: إن (كامب ديفيد) الأولى خير من (كامب ديفيد) الثانية، كما قاله أبو الطيب المتنبي:

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن!

ما السر في هذا؟ إنه الوهن، الوهن الذي أصاب القائمين على هذه القضية، وهو ما حذر منه القرآن فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥].

هؤلاء يقولون: ليس معنا أحد، ذهبت روسيا التي كانت تعضدنا، والعالم العربي ممزق وضعيف، فلم يبق أمامنا إلا أن نقبل ما يعرض علينا.

هذا هو الوهن، الوهن الذي يصيب الأمم في مرحلة الضعف، وحذر منه النبي ﷺ الأمة في المرحلة الغثائية، حينما تصبح كثرة كغثاء السيل، قال ﷺ: «ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» - قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

هذا هو الوهن النفسي، أن يخلد الناس إلى الدنيا.. إلى المناصب.. إلى الشهوات، ويكرهوا الموت في سبيل الله.

لهذا نهى القرآن عن الاستسلام لهذا الوهن والضعف ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥] لأن الإسلام يعلو ولا يعلى - ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] إذا تخلت عنكم روسيا أو غيرها، حسبك أن يكون الله معك، ومن كان الله معه فلن يضيع، ومن نصره الله فلا يغلب ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

لنأخذ مثلاً من إخوتنا في البوسنة والهرسك، هؤلاء الصامدون الذين رأيناهم كما نشرت الصحف من أيام: ثمانية عشر رجلاً منهم في سجن من سجون الكروات، يقتسمون رغيفاً من طول ما أهلكهم الجوع، كل واحد يأخذ منه لقيمة، ومن شدة العطش لعقوا بأفواههم الثرى، عسى أن يجدوا فيه بعض الندى.

---

(١) من حديث ثوبان الذي أخرجه أبو داود وأحمد. وأقوله: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل: يا رسول الله ومن قلة يومئذ؟ قال: لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل...» (شرح البغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط: ١٥/١٦، حديث ٤٢٢٤).

هؤلاء صمدوا فأين أبناء فلسطين؟ لماذا لا يصمدون؟ لماذا يهينون ويستكينون؟ وقد قال الله تعالى في شأن قوم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ـ وفي قراءة قتل معه ربيون كثير ـ ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦] . أي إنهم اتهموا أنفسهم: إذا كنا أصبنا في بعض المعارك، فلا بد أن نكون قد أذنبنا أو قصرنا، ولذلك سألوا الله المغفرة، قبل أن يسألوه التثبيت والنصر.

نهى القرآن عن الاستسلام للوهن ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥] ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣] ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء: ١٠٤] إن قلتم: إننا قد ضحينا وعانينا وتعبنا، فالعدو أيضاً يضحي ويعاني ويتعب، ولكن فرق بين من يعاني في سبيل الله... في سبيل الحق.. في سبيل الشرف والعدل.. ومن يعاني ويتعب في سبيل الطاغوت.. في سبيل الظلم والباطل ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ...﴾ [النساء: ١٠٤] .

يا أيها الإخوة: ربما يقول البعض: هذا شأن فلسطيني، وهل نحن فلسطينيون أكثر من الفلسطينيين، وملكيون أكثر من الملك كما يقال؟ ونقول: صحيح أن هذا ربما كان في المقام الأول شأناً فلسطينياً، ولكن هل دعيت السلطة الشرعية الوطنية الأولى للفلسطينيين في مثل هذا الأمر الجلل؟ هل دعي المجلس الوطني الفلسطيني قبل أن يصدر قرار ويفاجأ بالأمر الواقع؟ لم يحدث.

ثم إن هناك فصائل لها شأنها في الجهاد الفلسطيني، إسلامية وغير إسلامية ترفض هذا، لم يجمع إذن الشعب الفلسطيني. ثم من يقول: إن فلسطين.. إن المسجد الأقصى.. إن قبة الصخرة.. إن أرض الإسراء والمعراج، هي ملك

الفلسطينيين وحدهم؟ لا.. إنها ملك المسلمين جميعاً، ملك هذه الأمة من مشرق الأرض إلى مغربها، ملك الأجيال الإسلامية كلها. حتى لو وهن هذا الجيل وتخاذل، فليس من حقه هذا، لأنه يقطع الطريق على الأجيال القادمة.

فلسطين أرض المسلمين، إن الذي حرر المسجد الأقصى من الصليبيين من قبل، بعد بقائه تسعين عاماً في أيديهم لم يكن فلسطينياً، ولم يكن عربياً، بل كان رجلاً كردي الأصل، وإن عرّبه الإسلام. كان كردياً اسمه: «صلاح الدين الأيوبي» هذا هو الذي هيأ الله على يديه النصر، وقامت معركة حطين، وفتح بيت المقدس، لهذا نقول: إن هذه القضية قضية المسلمين حيثما كانوا.

لا ينبغي أن تسقط الراية أبداً، سيظل الجهاد مستمراً، وعندنا بشائر من رسول الله ﷺ، إن المعركة بيننا وبين اليهود قائمة، نقاتلهم ويقاتلوننا. قال ﷺ: **«تقاتلكم اليهود ـ وفي رواية تقاتلون اليهود ـ فتسلطون عليهم، حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر والشجر فيقول الحجر: يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله»**[1]. وفي بعض الألفاظ: «حتى يختبى اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله...»[2]. هذا ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر، وعن أبي هريرة.

وروى عبد الله بن أحمد في المسند والطبراني في معجمه الكبير بسند رواته ثقات، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، ولعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم أو جابههم، إلا ما أصابهم من لأواء»** (أي من أذى كأن يسقط منهم شهداء وضحايا) قالوا: يا رسول الله: وأين هم؟ قال: **«ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»**[3].

---

(١) ذكره في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٩٧٧).

(٢) سبق تخريجه ص(١٧٢)، وص (٢٢٢).

(٣) هو في المسند (/٥/ ٢٦٩) وفي مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٨) وقد تقدم تخريجه ص (٢١٦).

هؤلاء المرابطون مستمرون. بشائر رسول الله ﷺ تعطينا الأمل وتزرع في نفوسنا الرجاء، أن هذه الأمة منصورة، وأن هناك طائفة ستظل مستمسكة بعروة الحق لا انفصام لها، لا تستخذي.. لا تنحني.. لا تستسلم، مهما عصفت الريح من حولها، لأنهم يعتقدون أن نصر الله آت لا ريب فيه، وأن هناك معركة قادمة، سيكون كل شيء فيها مع المسلمين، ولصالح المسلمين، حتى الحجر والشجر ينطق.. هل ينطق بلسان الحال، أو ينطق بلسان المقال؟ أياماً فسرنا هذا الأمر، فعندما يأتي النصر يكون كل شيء معنا. وعندما يقدر عليك الخذلان، فكل شيء ضدك، حتى الصلاح الذي في يديك، كما رأينا هذا في سنة ١٩٦٧م.

إن المعركة قادمة، وفلسطين هي أرض الإسلام، والأقصى يجب أن يكون إسلامياً، وفي يد المسلمين، والقدس هي عاصمة فلسطين.

إننا ينبغي أن نؤكد على أمور لا بد منها وهي:

إن المعركة دينية إسلامية[1]، هذه هي الحقيقة، ومن أجل ذلك نتحدث

---

(١) وهذا ما نادى به الشيخ في أكثر من كتاب من كتبه، أو خطبة من خطبه، أومحاضرة من محاضراته، وهو ما ينبيء به لفظ الحديث الصحيح: «يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون... فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله...» فالحديث حدد أوصاف المقاتلين الذين ينصرهم الله على اليهود من خلال قوله: «المسلمون» ومن خلال نداء الحجر أو الشجر للواحد منهم: «يا مسلم، يا عبد الله» وليس: يا عربي، أو يا قومي، أو يا وطني، ثم إننا إذا أسقطنا من حسابنا (إسلامية المعركة) وخضناها على أساس أن فلسطين أرض عربية فحسب خسرنا المعركة وكسبها اليهود.
فللعامل الديني وزنه وأهميته، وهذا ما يعيه اليهود جيداً، ويحرصون على استغلاله في حربهم مع المسلمين. وجاء في مذكرات (وايزمان) حول هذه النقطة ما يلي: «ولقد قابلت لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذي بادر بسؤالي على الفور: لماذا لم تقبلوا إقامة الوطن القومي في أوغندا؟ وقلت لبلفور: إن الصهيونية حركة سياسية قومية، هذا صحيح، ولكن الجانب الروحي منها لا يمكن إغفاله، وأنا واثق تمام الوثوق أننا إذا أغفلنا الجانب الروحي فإننا لن نستطيع تحقيق الحلم السياسي القومي» نقلاً من كتاب (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) للأستاذ عبد الله التل ص(٤٠١)، ط. المكتب الإسلامي.

عنها على هذا المنبر، لا يظن بعض الناس أننا نتحدث في السياسة، نحن نتحدث في الدين.. في صلب الدين، نتحدث في أرض الإسراء والمعراج، وفي المسجد الأقصى. القضية إسلامية، كما أنها من جانب (صهيون) يهودية.. يهودية لحماً ودماً.

هل شاهدتم وسمعتم حفل التوقيع؟ هل سمعتم ما قال (رابين)؟ إنه انتهز فرصة أن العالم يسمعه، فأراد أن يؤكد يهودية القضية، فاستشهد بالتوراة وقرأ فقرات من (سفر الجامعة) أحد أسفار العهد القديم، وتحدث عن السنة العبرية اليهودية، أن لهم سنة غير سنوات الناس الآخرين، أراد أن يؤكد الهوية اليهودية. استشهد بالتوراة، ولم نر أحداً من وفدنا استشهد بآية من القرآن، أو جاء على لسانه مجرد ذكر الإسلام، أو ذكر مجرد كلمة (المسجد الأقصى) فيا للهوان! ويا للضياع!!

القضية إسلامية هذا ما ينبغي أن نؤكده، والنصر ينبغي أن نؤمن به، قد يبطىء علينا، وهذه سنة من سنن الله، حتى نستكمل عدده، وحتى تمحصنا الأحداث، ليمتحن الله ما في صدورنا، وليمحص ما في قلوبنا. ولتفرز المعركة الأبطال الحقيقيين، ويتميز الخبيث من الطيب، ولكن النصر آت لا ريب فيه.

لا ينبغي أن نستعجل الثمرة قبل أوانها، ونفرّط في تاريخ الجهاد، ويضيع دم عز الدين القسّام، وعبد القادر الحسيني، وأبي جهاد، غيرهم، وتضيع الدماء في دير ياسين، وصبرا، وشاتيلا عبثاً، ينبغي ألا نفرط في هذه الدماء.

في معرض الكتاب بالدوحة الذي عقد في ديسمبر من عام ١٩٩٣م، وأقيمت فيه ندوة شعرية، ألقيت قصيدة أنكر فيها ما يعرض في مؤتمرات السلام هذه، أنكر فيها أن نرضى بحكم لكل ما بقي من فلسطين تحت الرعاية الصهيونية والعلم الإسرائيلي، وقلت فيما قلت في ذلك الوقت:

فيا عجباً لمن يجري وراء سرابه النفسي
يظن له به ريّا ويرجع فارغ الكأس

يـفـرط فـي دم الـشـهـداء يـا لـلـعـار والـبـؤس!
يـبـيـع الأرض والـتـاريـخ بـالأرخـص مـن فـلـس
بـحـكـم فـي حـمـى صـهـيـون يـا لـلـثـمـن الـبـخـس!
فـلا دولـتـه قـامـت ولا أبـقـى عـلـى الـنـفـس
وضـاع جـهـاد أجـيـال فـقـد دفـنـوه فـي الـرمـس
جـهـود كـلـهـا ذهـبـت «كـأن لـم تـغـن بـالأمـس»
فـمـا مـعـنـى فـلـسـطـيـن بـلا أقـصـى ولا قـدس؟
فـلـسـطـيـن بـلا قـدس كـجـثـمـان بـلا رأس[1]

ولكنا قبلنا الجثمان بغير الرأس!!

القضية إسلامية، والنصر آت، وينبغي أن نعلّم ذلك لأولادنا، ونلقنه أبناءنا هؤلاء المظلومين، إننا نشفق والله على أبنائنا وأحفادنا الذين ظللنا نحفظهم أناشيد العودة، وأغاني البطولة والقدس والأقصى، ثم بعد ذلك نسكت عن هذا كله مرة واحدة.

إسرائيل التي قلنا: إنها خطر اقتصادي وثقافي وديني وسياسي وعسكري و.. و.. الآن نمد إليها اليد، ونرى أعداء الأمس شركاء اليوم! ماذا نقول لأبنائنا وأحفادنا؟ ينبغي أن نحمي أبناءنا من الخطر القادم الآن، وهو عملية غسيل المخ.

احـذفـوا إذن مـن الـقـرآن ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ...﴾ [المائدة: ٨٢] ، احـذفـوا إذن مـن الـقـرآن: ﴿...وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ...﴾ [الأعـراف: ١٦٧] ،

(١) انظر: القصيدة بكاملها في ديوان الأستاذ القرضاوي الذي صدر مؤخراً تحت عنوان المسلمون قادمون ص (٩٣ ـ ٩٧).

احذفوا من البخاري ومسلم: «تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم...»[1]، اغسلوا أمخاخ أبنائكم وأحفادكم!!

لا والله، سنثبت، ونصبر، ونقاوم، القضية لم تنته بعد، وهي مستمرة. كل ما نريده من أبناء فلسطين وقد حدث ما حدث: ألا يضرب بعضهم رقاب بعض، ألا يسفك بعضهم دماء بعض، حرام أن تراق قطرة دم فلسطينية من أجل ما يريده اليهود، دعوا الانتفاضة تعمل عملها خارج غزة وأريحا في الأرض المحتلة الباقية، وهذا أضعف الإيمان لأننا ظللنا سنين نقول: إسرائيل كلها قائمة على الاغتصاب والعدوان، وما قام على الباطل فهو باطل، ولا حق لها في الوجود.

حتى لو رضينا بالذل.. بما لا يقبله مسلم بمنطق الإسلام والإيمان، حتى لو رضينا بهذا، لا يجوز أن تقمع الانتفاضة، ويقمع الجهاد من أجل حماية أمن اليهود، لا يجوز هذا.

هذا ما نرجوه من إخوتنا في فلسطين أمام هذا الوضع الجديد.

يا أيها الإخوة: نحن في أوضاع ربما يقابلها بعض الناس بالتشاؤم أو باليأس، ولكني أقول والله: إن هذه الأوضاع لن يكون من ورائها إلا إيقاد الجذوة، وإلا استمرار الصحوة، وإلا نفخ روح القوة، وإلا أن هذا العملاق سينقض من جديد.

لقد طالما أصاب الإسلام محن طوال تاريخه، منذ حروب الردة، ومنذ حروب التتار، ومنذ غزوات الصليبيين، ومنذ الاستعمار الذي احتل ديار الإسلام، ولكن الإسلام لم يمت، وهذه الأمة لم تمت، وأن قدر الله لهذه الأمة أنها لا تموت، وأنها ستظل تفرز الأبطال يوماً بعد يوم.

---

(١) تقدم ذكره كاملاً في ص٢٣٥ ـ ٢٣٦.

إن الذي أخرج طارق بن زياد من قديم، وصلاح الدين الأيوبي، ومحمد بن مراد الفاتح، وعبد القادر الجزائري، وعمر المختار، وعز الدين القسام، وغير هؤلاء من المجاهدين المقاتلين، سيخرج أمثالهم وأمثالهم، وقد أخرج، وها نحن نرى ـ والحمد لله ـ ما يطمئن النفوس.

إن فلسطين إسلامية، والمعركة إسلامية دينية، لن يبنى الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، لن تنتصر اليهودية المنسوخة على الإسلام الخالد، لن تنتصر التوراة المحرفة على القرآن المحفوظ، لن ينتصر الباطل على الحق، بل الحق سينتصر؛ لأن الله هو الحق المبين ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فادعوه يستجب لكم إنه نعم المولى ونعم النصير.

● الخطبة الثانية:

أما بعد: فقد ورد، أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر. اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود، اللهم انصرنا على الصليبيين، اللهم انصرنا على الوثنيين، اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم، وأذل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على

أحد من عبادك المسلمين.

اللهم ارفع بنا راية الإسلام واعل بنا كلمة القرآن. واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

﴿... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وأقم الصلاة.